

سؤال الإيتوس - مسار التحول من بلاغة أرسطو إلى تأويلية ريكور-

د.حنان خطاب

قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

الجامعة: محمد لمين دباغين سطيف 2

تاريخ الإرسال: 2025 / 01 / 18 ؛ تاريخ القبول: 2025 / 03 / 04

Abstract

This scientific paper seeks to investigate the conceptual transformation of ethos, starting with Aristotle's concept as a speaking self carrying persuasive mechanisms, ethical characteristics and argumentative rhetoric skills, arriving at the contemporary concept of the French critic/philosopher Paul Ricoeur, where the self has become the subject of consideration and contemplation as one of the most important major questions in human existence. It is the active, interpreting, moralizing and identity-making self.

Therefore, it was necessary to reveal this self, how it speaks itself and perceives its existence and effectiveness, in search of its relationship with itself and its other in order to achieve its identity and embody the morality of discourse.

ملخص

تتحاكم هذه الورقة العلمية إلى البحث في التحول المفهومي للإيتوس ، بدءا بمفهوم أرسطو بوصفه ذاتا متكلمة حاملة لميكانيزمات إقناعية وخاصيات أخلاقية ومهارات الخطابة الحجاجية ، وصولا إلى المفهوم المعاصر عند الناقد/الفيلسوف الفرنسي بول ريكور ، حيث غدت الذات موضوع نظر وتأمل بوصفها تساؤلا من أهم الأسئلة الكبرى في الوجود الإنساني. فهي الذات الفاعلة، المؤهلة، المتخلقة والصانعة للهوية.

ومن ثم كان لزاما الكشف عن هذه الذات ،كيف تقول ذاتها وتذكر وجودها وفعاليتها ،بحثا عن علاقتها بذاتها وبآخرها تحقيقا لهويتها وتجسيذا لأخلة الخطاب .

أولا : الإيتوس في البلاغة الأرسطية

تعد الخطابة صناعة كلامية، وفنا أصيلا قديما قدم الإنسان، فهي "فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالاته، فلا بد من مشافهة وإلا كانت كتابة أو شعرا مدونا، ولا بد من جمهور يستمع، وإلا كان الكلام حديثا أو وصية، ولا بد من الإقناع، وذلك بأن يوضح الخطيب رأيه للسامعين ويؤيده بالبراهين، ليعتقدوا كما اعتقده" (أحمد محمد الحوفي ، مصر 1972، ص05).

وقد مثل كتاب " الخطابة" الريتوريقا" لأرسطو طاليس (384- 322 ق.م) أساسا للدرس البلاغي الحجاجي في المجتمع اليوناني، كما جعل أرسطو الخطابة أساسا لكتابه، وقدم لها ضبطا مفهوميا من خلال قوله: "الريتوريقية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة" (أرسطو طاليس ، بيروت ، 1979، ص09) ،بمعنى أنها وسيلة تروم إقناع الآخرين والتأثير فيهم، إنها وسيلة الاتصال الحجاجي بينهم وهي " فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالاته" (أحمد محمد الحوفي، مصر 1972 ص05) .ويعد كتاب فن الخطابة منهلا رئيسا وإسهاما جادا في تطوير البلاغة وترسيخ المسائل الحجاجية، حتى قال فيه الناقد المعاصر بارت" فكل العناصر التعليمية التي تغذي المختصرات الكلاسيكية تأتي من أرسطو" (رولان بارت ، المغرب ، 1994، ص19).

عطفا على ماذكر، تمثل الخطابة " العلم النظري والتطبيقي لممارسة الكلام في الجمهور أمام مستمعين يساورهم الشك وبحضور معارض، يسعى الخطيب بخطابه إلى فرض تمثيلاته وصياغاته وإلى توجيه فعل"(باتريك شارودو الأردن ، 2011 ، ص490).ولعل أهم ما يشمله الكتاب هو ما يتعلق بالحجاج الخطابي، ذلك أن المهمة الكبرى للخطابة أو الخطيب هو الإقناع وتفعيل التأثير في المتلقي، وفي هذا الصدد يقول شارودو:

charaudeau: "لم نعد نراهن على القوة المنطقية للحجج أكثر من قوة إقناعها"(باتريك شارودو الأردن ، 2011 ، ص293).

والحال إن الخطابة عند أرسطو تسعى في جوهرها إلى الاهتمام بالحجج والشواهد، قصد التأثير والإقناع والبرهنة" تنبني على مبدأ هذا الادعاء بالصدق والحقيقة والوعد بإنجاز ما يترتب على هذا الادعاء، فهي لا تهدف إلى الإقناع فقط، بل تهدف كذلك إلى تشييد الفعل في الحقيقة"(عمارة ناصر ، الجزائر، 2009، ص92)

ولذلك نجد أسطو يعد الخطابة قوة فاعلة وفضيلة إنسانية، كما يرى أن الحجة مكون إنساني أساسي في الخطاب، يروم الخطيب من خلالها إقناع الآخر والتأثير فيه من خلال "الكلمة"، وتبعا لما سبق قسم أرسطو الخطاب الحجاجي الإقناعي إلى ثلاثة جوانب: (عالم فايزة، بن عيسى عبد الحليم ،جامعة وهران ، 2020 ، ص357)

المقومات الأخلاقية: الإيتوس Ethos

المقومات العاطفية: الباتوس pathos

المقومات العقلية: اللوغوس logos

وقد جعلت هذه العناصر في مثابة ضوابط للإقناع، حيث يشترط أرسطو النظر إلى المتكلم والمستمع والخطاب في حد ذاته، ومنه فإن هناك شروطا تدعم الحجة والإقناع" منها ما يكون بكيفية المتكلم

وسمته ومنها ما يكون بتهيئة السامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت" (أرسطو طاليس ، بيروت ص10).

ولئن قسم أرسطو خطابه الجحاجي إلى ثلاثة أركان، عملت على ترسيم خطاب قولي أو صناعة قولية تهتم بأخلاق الخطيب أو الباث (الإيتوس) وبالحاجة النفسية للمتلقى أو المستمع (الباتوس) فيما ترتبط الثالثة بالقول في حد ذاته وهو (اللوغوس)، فإن أهم عنصر ذاتي يعكس سيكلوجية الباث هو "الإيتوس" وهذا الأخير" ينتمي إلى ثلاثية أرسطوفى وسائل الحجة في الخطابة، ويوافق هذا المصطلح عند أرسطو معنيين، فهو يشير من جهة إلى الفضائل الأخلاقية التي تعطي الخطيب مصداقية، أي الحذر والفضيلة وحس الاستعداد، ويشتمل من جهة ثانية على بعد اجتماعي من جهة أن الخطيب يقنع إذا تكلم بطريقة ملائمة لطبعه وصنفه الاجتماعي، ويتعلق الإيتوس في كلتا الحالتين بصورة الذات التي يبينها المتكلم في خطابه لا بالشخص العيني" (باتريك شارودو الأردن ، 2011، ص ص230-231). حيث يركز الإيتوس عند الفيلسوف أرسطو على الجانب الأخلاقي للخطيب وعلى الإمكانيات التي يمتلكها لتحقيق فاعلية التأثير و بهذا يلقي إهتمامه على الباث أو الخطيب أو المتكلم في علاقته بالآخر.

ومن ثم فإن الإيتوس يكشف على الإمكانيات والآليات والأخلاقيات التي يجب أن تتوفر في المتلفظ بالخطاب حتى يحقق غاية الإقناع، وبهذا يمكننا القول :إن الإيتوس قدم خدمة للدراسات الألسنية من خلال إعطاء صورة جلية للذات /ذات المخاطب، حيث" أعادت الاعتبار إلى المتكلم ذاتا تسكن اللغة وتترك أديمها آثارا وبصمات تشهد عليها علامات لغوية وطرائق تعبيرية متنوعة"(حاتم عبيد ،الأردن ،2013، ص26)،

هكذا إذن " يركز أرسطو على كون الإيتوس جزءا من الميكانيزمات التي يوظفها المتكلم لإقناع متلقيه، فالإيتوس بالنسبة إليه هو الصورة التي تنجز الخطاب، إنه صورة الذات التي يعطيها المتكلم من خلال خطابه وهذه هي اللحظة التي فتحت نقاشا كبيرا لا يزال مستمرا إلى يومنا هذا، هل الإيتوس صورة خطابية، أم معطيات خارج لسانية؟، وإن كانت صورة الذات لدى أرسطو تعطي فقط في الخطاب، فإن الذي له وزن لدى إيزوقراط(Isocrate) هو السمعة القبلية " اسم". فالمتكلم هو الأهم، لا

يتعلق الأمر بما يقوله المتكلم عن نفسه في الخطاب بل بما نعرفه مسبقا عنه، وفي التوجه نفسه يؤكد كلينتيان بأن ما نعرفه عن المتكلم أكبر وزنا من أقواله في اللحظة التي يحاول فيها إقناع الجمهور".

ثانيا : البراديغم الجديد للإيتوس عند بول ريكور

أ- في مفهوم الذات المتكلمة

أولت الدراسات البلاغية الأرسطية اهتماما بالغا بالذات بالإيتوسethos وامتد هذا البحث في البلاغة الجديدة ونظريات تحليل الخطاب ، إلا أن موضوعنا سيركز على الفيلسوف الفرنسي بول ريكور الذي لم يتحدث عن الإيتوس صراحة وإنما أورده ضمنا من خلال مفهوم الذات.

ولئن كانت التأويلية جسر الذات إلى عالم الوجود، فإن الذات تندرج ضمن الأسئلة الكبرى في الوجود الإنساني، ذلك أنها ترتبط بالإنسان بوصفه متكلماً ومؤولاً وفاعلاً، يقول أفلاطون: " ليس يحيا إنسانا من لا يسأل نفسه عن نفسه". (ماري مدلين دافي ، عويدات 1794، ص19) وقد اشتغل ريكور على فلسفة الذات ضمن أفق فلسفي معرفي يتجاوز الدراسات الكلاسيكية من قبيل الشخصيات والأبطال والفاعلين وغيرها. ولم تتشكل هذه الفلسفة إلا بعد خوض معركة قوض فيها ريكور صرح الكوجيتو cogito الديكارتي، وهدم كل المفاهيم المتعالية والمثالية التي تنوهم صروحا زائفة للذات، ومن هذا المنطلق حاول ريكور رد الاعتبار للذات من خلال تأويلها فـ" مع ريكور لم تعد الهرمينوطيقا أداة لتفسير النصوص والحياة والعالم والكينونة وفهما وحسب، بل لفهم الذات المؤولة لذاتها أيضا وهو التصور الذي كشف به عن زيف مقولة الكوجيتو الديكارتية " أنا أفكر إذن أنا موجود" وفند به أيضا تصور هوسرلافينومينولوجي الذي يبقى ديكارتيا بتأكيد على قرب الذات من ذاتها." (عبد الكريم شرفي الجزائر، 2006، ص50)

ففهم الذات من منظور ريكور لا يكون إلا من خلال مساءلتها ونقدها وتأويلها" إن ريكور وعلى عكس الكوجيتو، لا يعتقد بأن الذات تعرف نفسها بالحدس المباشر، بل يتم ذلك من خلال تعرية العلامات الثاوية في النص الأدبي وكذا فهمها" (محمد الديهاجي ، المغرب ، 2014، ص22) أي " فهم الذات أمام النص.

هكذا إذن، سيكون الرهان أمام ريكور هو خلق حوار بين الذات والآخر في إطار ما يسمى التماسفحيث " سيختار ريكور فكرة التوسط بين الذات soi والآخر (autre)، أي إلزامية استحضر هذا الآخر والإنصات إليه لأنه وجودي وضروري في بعث ذات فاعلة تترحل في بوتقة نسق يدعى الغريزة، يمكننا من خلاله أن نضمد جراح هذه الذات المجروحة، وجعلها أكبر انفتاحا على هذا العالم وعلى كل ما هو مختلف فيه، مدركة في الآن ذاته المسافات الزمانية بين ماضيها وحاضرها ومستقبلها"

ومن هنا فإن مهمة الهرمينوطيقا" لا تكون بإعطاء الأولوية لذاتية القارئ ولا تفسير نفسية المؤلف ، بل لمحاولة كشف هذا العالم الجديد الذي يدعونا إليه المؤلف، ولكنه هو نفسه لا يعرفه، الهرمنيوتيك بهذا المعنى ترفض أنا القارئ وأنا الكاتب، لتصل إلى عالم النص ..إلى أنا النص..."

توسل ريكور بالدراسات اللسانية التلفظية والدرس التداولي تركيزا على أفعال الكلام وفي هذا الصدد يقول : " حان الوقت كي نبرهن بأي طريقة تسهم نظرية أفعال الخطاب في التعرف على هذا العامل كعظمة إشارات الخطاب وأن نحدد نوع الذات التي تظهر (بول ريكور ، بيروت، 2005، ص134)

حاول ريكور تقديم نموذج جديد لمفهوم الذاتية" فبعد أن كانت هذه الذات مجرد شكل أجوف تصب فيه أدوار تقوم بها الشخصية الفاعلة كما سيميائية غريماس أو تتناط بها أعمال للقول لاروخ فيها كما في سرديات جونات الذي وسمها بكونها مجرد أصوات تتكلم إذا كانت رواية أو متكلمة في نطاق أنواع من القول مختلفة كالخطاب المباشر والخطاب غير المباشر إذا كانت قائلة.." (محمد نجيب العمامي ، تونس، 2011، ص06) اندرجت أبحاث ريكور حول " الذات المتكلمة" تركيزا على تبادل القول أو التقال interlocution فليست اللغة ممكنة إلا لأن كل متكلم حين يخاطب نفسه كذات يحيل إلى نفسه باستعمال " أنا" في خطابه، لهذا ف" أنا" يطرح شخصا آخر، هو ذلك الذي رغم أنه خارج عني تماما، يصبح صدى لي، فأقول له أنت ويقول لي أنت" (إيميل بنفنست، المغرب، 2005، ص75).

استنادا لما تم ذكره، كان النظر في إشكالية " الذات" في علاقتها مع ذاتها ومع آخرها من خلال بناء مفاهيم لقلب العديد من التعبيرات السابقة واختزاها،" فنحن نسأل عن الذات بالقدر الذي نهم بالإجابة

عن سؤال من ؟ وليس عن السؤال ماذا أو لماذا ؟ على هذا النحو فإن مقولات القول والقائل ثم القدرة على الفعل والفاعل ، ثم السرد والراوي، وأخيرا مسؤولية الأفعال والذات الحاملة للمسؤولية، تخضع كلها للاستقصاء الفنولوجي" (بول ريكور ، المغرب، 2006، ص ص 126، 127).

غير أن جدلية التعارض بين الذات والأنا تجد دعما لها وسط اللغات الطبيعية ، بحسب الخصوصيات الصرفية والنحوية " ومن وراء الترابط الإجمالي القائم بين الكلمة الفرنسية (soi) والكلمة الإنجليزية (self) والألمانية (selbst) والإيطالية (se) والإسبانية (semismo)، فإن هذه اللغات تتباعد، غير أن هذه التباعدات نفسها معبرة حين تضيق كل خاصية نحوية صرفية جزءا من المعنى الأساسي المنشود" (بول ريكور ، بيروت، 2005، ص 71).

حاول ريكور الخوض في مسألة الذات والكشف عن جوهرها ووجودها بعدما ألحقه بها الكوجيتو المجروح من تصدعات وخدوش، ذلك أن " الإنسان كائن هش (être fragile) ومعد يفر من ذاته ليعود إليها باستمرار، يعود لذاته على امتداد حياته من أجل أن يفهمها ويجعلها تتعرف على نفسها كما هي في بعدها الحقيقي، ويعلمها كيف يكون التصرف مسؤولية (الربيع ميمون ، ص 225)

تجاوز ريكور الإقصاء اللساني البنيوي للذات، وحاول رد الاعتبار لها من خلال نسخة جديدة للإيتوس، لم تتخذ شكلا صريحا مباشرا كما هو الحال في البلاغة الأرسطية الجديدة

وإنما من خلال تقديم بديل مفهومي جديد لمفهوم الذاتية من خلال الاشتغال على المتكلم ضمن فلسفة اللغة فـ" كل إنتاج خطابي يقتضي وجود متكلم منتج يشارك في عملية التلفظ بصورة مباشرة". (خليفة الميساوي ، ص 58) ومن هنا بحث بول ريكور عن الذات المتلفظة في ملفوظها ، حيث المتكلم يتغيا من خلال فعل القول تحقيق التأثير والإقناع، فهو يبحث عن وضعية الأنا والأنت في التخاطب من خلال فعل التلفظ، حيث يكون التركيز لا على الملفوظ énoncé ولكن التلفظ énonciation أي فعل القول نفسه الذي يدل تفكريا على قائله. (بول ريكور، بيروت، 2005، ص 132)

كما يشير ريكور إلى العلاقة بين التلفظ واللافظ (فاعل التلفظ)، " إن الاتجاه الجديد الذي أخذته نظرية التلفظ مع تحليل أفعال الخطاب لا يمثل إذا تجديدا جذريا، هذه النظرية تعطي حياة جديدة لمفارقة

يعرفها الكلاسيكيون، وهي تنتج من التنافس في الملفوظ الواحد بين الهدف التمثيلي لشيء معين وما كانت قواعد "بول رويال" تدعوه الانعكاس أو التفكير بالقوة أو المحتمل "réflexion virtuelle" (بول ريكور، بيروت، 2005، ص134).

إن التحدي الذي رفعه ريكور هو تجاوز الإقصاء اللساني للذات وتقديم علاقة بين فعل التلفظ وقائله من خلال التمييز بين البحث المرجعي والبحث التكاملي مع نظرية متكاملة للذات" بالنسبة إلى البحث الإحالي فإن الشخص هو أولا الضمير بصيغة الغائب أي الشخص الذي نتكلم عليه، أما بالنسبة إلى البحث التفكري فإن الشخص أولا "أنا" تتكلم مع "أنت"، المسألة ستكون أخيرا معرفة كيف أن (أنا- أنت) التخابط تستطيع أن تظهر إلى الخارج بشكل "هو"، من دون أن تفقد القدرة على أن تسمي نفسها بنفسها، وكيف أن الـ هو /هي هي الخاصة بالإحالة المحددة للهوية يمكن أن تستبطن داخل ذات فاعلة تقول نفسه بنفسها، إن مثل هذا التبادل بين ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب هو الأساسي في ما أسميته لتوي النظرية المتكاملة للذات على الصعيد الألسني" (بول ريكور، بيروت، 2005، صص133، 132).

خاض ريكور في مسألة الذات المتكلمة تركيزا على "القول" من خلال "الفعل" حيث ميز بين "فعل القول (acte locutire) والفعل (الداخل) في القول (illocutoire) والفعل الحاصل بالقول (perlocutoire)" (بول ريكور، بيروت، 2005، ص136) وقد أشار ريكور إلى أن الأقوال (الملفوظات) ليست حمالة للمعنى ولكن القائلين (المتكلمين) هم الذين يريدون أن يفهموا معنى معيناً، أما الفعل الداخل في القول فيقوم على مايفعله القائل حين يتكلم، وعلى قوة القول (التلفظ)، وقد برر هذا من خلال إضافة "بعض الجمل التي تسبق التعابير الإنشائية الإنجازية من أجل التعبير الألسني عن قوة الأفعال (الداخلية) في القول لكل الأقوال (الملفوظات) ، من قبيل "أنا أؤكد بأن" وجملة "أنا أعد ب...". (بول ريكور، بيروت، 2005، ص137). التي تزيد من قوة وفاعلية القول.

يرى ريكور أن إضافة "أنا" قبل الجملة يسهم في تبيان الدلالة الكاملة للقول (الملفوظ)، وفي هذا الصدد يقول: "في مثل موقف التخابط هذا هناك واقع يقول بأن وجود متحدث يتكلم بصيغة ضمير المتكلم يقابله محاور بصيغة ضمير المخاطب يوجه الأول خطابه له..... إن التلفظ الذي ينعكس في معنى

الملفوظ هو بهذه الطريقة ومباشرة ذات قطبين: إنه يتضمن في آن معا "أنا" تقول و"أنت" يخاطبها الأول. أنا أؤكد أن "تساوي" أنا أعلن لك عن"، "أنا أعد بأن" تساوي "أنا أعدك بأن. باختصار إن التلطف يساوي التخاطب" (بول ريكور، بيروت، 2005، ص138).

تأسيسا على ماسبق ، ركز ريكور على القول (التلفظ) في علاقته بالذات القائلة أو المتكلمة وكذا علاقتها مع آخرها . وتوصل إلى أن البحث في مفهوم الذاتية يقود مباشرة إلى الغيرية، ذلك ان الذات المتكلمة بحاجة إلى آخر يسمعها .

ورغم أن الهم المعرفي الأول لريكور كان تقديم إبدال مفهومي جديد لمفهوم الذاتية ، في إطار براديجم الإيتوس الجديد إلا أن الأمر أفضى به إلى جدل آخر حول أفهم الهوية السردية.

ثالثا- الإيتوس و الهوية

ارتبط أفهم الهوية عند بول ريكور بالسرد، وهذا ما حدا به إلى التفريق بين نوعين من الهوية هما الهوية الشخصية والهوية السردية.

الهوية الشخصية: تحمل معنى فرادة الشخص وتميزه عن غيره، وهي تطرح السؤال عن حقيقة الأنا، وحقيقة فرادتها مع الغير، إذ "كيف نفكر في الأنا عبر الزمن؟ هل أنا الشخص نفسه منذ عشرين سنة؟ يقترح جون لوك حل مسألة الهوية الشخصية بالذاكرة إذا كنت أنا الشخص نفسه منذ عشرين سنة، فإن مرد ذلك هو أنني أحتفظ بذكرى مختلف وضعيات واعي" (كاترين هالبيرن ، الجزائر ، 2015، ص18)، في حين يعطي ريكور مفهوما للهوية الشخصية من خلال تقسيمها إلى نوعين وهما: الهوية المتطابقة L'identité-idem والهوية الذاتية L'identité-ipse .

ومن خلال هذا النوع يربط ريكور أفهم الهوية بالزمان، حيث تحليل الهوية التطابقية على الشيء هو نفسه لا يتغير مع الزمان "إن العينية مفهوم إضافة وإضافة إضافات على رأس الكل يأتي التطابق العددي: لو أطلقنا على شيء اسما لا يتغير في اللغة العادية، وحصل مرتين لما قلنا إنهما يشكلان شيئين مختلفين ولكن شيئا واحدا بعينه، الهوية التطابقية هنا تعني الوجدانية، والعكس هو الكثرة ويقابل

هذا المكون الأول لمفهوم الهوية عملية التحقق من الهوية ويقصد به إعادة التحقق من هوية الغرض عينه وهذا يجعل من عملية التعرف على الأمر من جديد الشيء عينه مرتين أو عدة مرات" (بول ريكور، بيروت، 2005، ص254) ومن هذا النوع أي من الهوية التطابقية العينية تدرج عدة علاقات أو معانٍ للهوية بمعنى أن هذه الهوية ثابتة عبر الزمن، هوية واحدة، وهذا ما يمنحها خاصية التدفق والاستمرار عبر الزمان، فأنا سأظل أنا مادامت متميزا بجملة من الخصائص التي تميزني عن غيري، وتبقى ثابتة مهما تحرك الزمان، ليكون بهذا مفهوم الهوية المتطابقة "...هي نفس كمية الشيء في نفس كمية الزمن، مع العلم بأن استدامتها الزمنية تشكل درجتها الأقصى التي يتعارض معها المختلف بمعنى المتغير والمتقلب" (بول ريكور، بيروت، 2005، ص70)، ذلك أنها تحدد الجوهر الفردي في الشخص والذي يبقيه هو هو نفسه Soi-même.

أما الهوية الذاتية (Ipséité) (L'identité-ipse) فيربطها ريكور بالسؤال الجوهرية حول تشكل الذات وهو سؤال حول طبيعة الفاعل، أي من أنا؟ من الفاعل؟.. وفي هذا الصدد يقول ريكور: "بدت لي تتميز بصورة أفضل بذات قادرة أن تعين ذاتها بوصفها صاحبة أقوالها وأفعالها... أي المسؤولية عما يصدر عنها من قول وفعل". (بول ريكور، بيروت، 2005، ص 105) ويربطها بول ريكور بالسؤال الجوهرية حول تشكل الذات هو سؤال من؟ أي من الفاعل؟ وحتى يحدد مفهومها في علاقتها ب السؤال من؟ أخرجها من مفهومها الوجودي كما هو الحال مع هيدغر إلى المستوى الأخلاقي بوصفها هوية أخلاقية تعكس فعل الذات وترمز للذات المسؤولة والمؤهلة أخلاقيا، والملتزمة بأقوالها وأفعالها في إطار ما أسماه ريكور بـ "الوعد" Promesse، إذ تتبدى الملامح الرئيسية للهوية الذاتية من خلال الالتزام بالوعد، ذلك أن "الوفاء بالعهد والوعد، يشكل على ما يبدو تحديا للزمان ونكرانا للتغيير، على الرغم من تغيير لرأيي ولميلي فإني أبقى على العهد" (بول ريكور، بيروت، 2005، ص70)

ومع هذا ينتقد بول ريكور الهوية الشخصية ويقترح بديلا يساهم في تشكيل الذات دون إهمال للبعد الزمني للوجود الإنساني، من خلال "افتراضه الطريف بأن حل مسألة الهوية، من حيث إنها تتقوم أساسا بضرب معين من الزمانية هو الاستمرارية في الزمان La permanence dans le temps يكمن في استعمال القصص Le récit، والسرد La narration لتشكيل هوية سردية Identities narrative، وذلك انطلاقا

من التسليم بأن السرد سيساعدنا على بيان أصيل لوجه تقوم "الهو" بالزمان" (فتحي المسكيني ، ص10) ، إذ يمثل انخراط الإنسان في عوالم السرد بمثابة الكشف عن ذاته وحياته وآخره، فالذات تعيد بناء ذاتها وتشكيل هويتها انطلاقاً من مرويّاتها "أفلا تصير حياة الناس أكثر معقولة بكثير حين يتم تأويلها في ضوء القصص التي يرويها الناس عليها؟ ألا تصبح قصص الحياة نفسها أكثر معقولة حيث يطبق عليها الإنسان النماذج السردية أو الحكايات المستمدة من التاريخ والتخيل" (بول ريكور، بيروت، 2005، ص 251).

إن السبل التي تقودنا إلى فهم علاقة الذات بالسرد، مبنوثة في مشروع بول ريكور الهرمينوطيقي، إذ حاول من خلال مؤلف الذات عينها كآخر ولوج النظرية السردية بشكل مغاير "وذلك ليس من منظور علاقتها بتكوين الزمان الإنساني كما حصل في كتاب الزمان والسرد ولكن من منظور إسهامها في تكوين الذات" (بول ريكور، بيروت، 2005، ص 250) وأكد على وساطة الذات والسرد وتفاعلهما من أجل تشكيل هوية سردية.

ب- الهوية السردية: *Identité narrative*

إن الرهان الأكبر الذي انخرط فيه بول ريكور هو حل معضلة الذات وهويتها في علاقتها مع الزمان وفي علاقتها مع ذاتها ومع آخرها، وهذا لتشكيل "ذلك النوع من الهوية الذي يكتسبه الناس من خلال وساطة الوظيفة السردية" (بول ريكور، بيروت، 2005، ص 251)

غير أن بول ريكور يربط الهوية السردية بالهوية الشخصية التي لا تنفصل عن البعد الزماني للوجود الإنساني، ومن هنا فإن "الطبيعة الحقيقية للهوية السردية لا تتكشف في نظري، إلا في دياكتيك الذاتية والعينية، وبهذا المعنى فإن هذه الأخيرة تمثل المساهمة الأكبر للنظرية السردية في تكوين الذات" (بول ريكور، بيروت، 2005، ص 294)، بمعنى أن الهوية السردية تتموضع بين هوية ذاتية لها فرادتها وتميزها الخاص وديمومتها عبر الزمان، وهوية عينية مؤهلة أخلاقياً، تستمد شرعيتها وجوهر وجودها من التزامها بالعهد والوعد، وهذا الديالكتيك بينهما ينعكس من خلال وظيفة السرد التي تلج عوالم الذات بوصفها ذاتاً فاعلة تقوم بفعلها عبر زمن معين ووفقاً لتاريخ ما، وبهذا

فهم الذات وتأويلها يكون انطلاقاً من تموضعها في تجربة الزمن ووفقاً لوظيفة السرد "إن فهم الذات هو عملية تأويل، وتأويل الذات بدوره يجد في السرد واسطة بامتياز مفضلاً إياها على بقية الإشارات والعلامات والرموز، والسرد يقتبس من التاريخ بقدر ما يقتبس من القصص الخيالية جاعلاً من تاريخ حياة قصة خيالية إذا شئنا قصة تاريخية، شابكا أسلوب العمل التاريخي الحقيقي للسير بالأسلوب الروائي للسير الخيالية الذاتية، إن مسألة التقاطع والتشابك بين التاريخ والرواية الخيالية كانت تبعد بمعنى ما، الانتباه عن الصعوبات الجمة المتعلقة بمسألة الهوية بما هي هوية" (بول ريكور، بيروت، 2005، ص251).

وقد تكون هاجس الهوية السردية عند بول ريكور من خلال انصهار السرد التاريخي والتخييلي الذي يسفر عن هوية سردية قد ترتبط بالفرد كما قد ترتبط بجماعة تاريخية، ذلك أنها "مكان التقاء الحدث والخيال، الحقيقة والقصص المنسوجة حولها، ذلك أن الهوية السردية هي بالتمام عكس الهوية المجردة، وفي هذه الهوية يلتقي الزمان الكوني الخارجي مع الزمان المعاش" (بول ريكور، بيروت، 2005، ص661) فعبر السرد يتمكن المرء من رسم الحياة وطرح إشكالاتها وتناقضاتها، ليكون السرد هو المفرد الوحيد لحل معضلة الذات وتشاكلاتها وتعقيداتها، فوحده السرد يحقق توازن الذات بفضل التطهير والتنقيص، إذ تغدو الحياة أشبه بقصة سردية تكون أحداثها متشابكة ومحبوكة على النحو الذي نجده في القصص. وتمثل الذات الفاعلة في هذه الحياة شخصيات شبيهة بتلك التي نقرأ عنها. لتتكشف الذات أمام ذاتها ثم أمام آخرها ووجودها.

وينبغي التأكيد على أن الهوية السردية تمارس دور الوساطة بين التاريخي والتخييلي وبين طرفي الهوية الشخصية (أي العينية والذاتية)، "إن مفهوم الهوية السردية هو الذي يمكن أن يقيم جدلاً خلاقاً بين معنيي الهوية هذين، ذلك أن معرفة الذات تأويل ولا يمكن أن تتم إلا بتوسط البنيات الرمزية ومختلف صنوف السرد والحكاية" (حسن بن حسن، الجزائر، ط1992، ص23).

ولعل أبرز ما يؤكد عليه ريكور هو ارتباط الهوية السردية بالزمان، إذ تعيد الذات هيكلتها نفسها ضمن تجربة زمنية، ما يجعلها تتسم بالديمومة وفي هذا الصدد يقول ريكور "لا ريب أن إشكالية التماسك والبقاء في الزمان أو بعبارة وجيزة إشكالية الهوية توجد هناك في السرد، إذ يؤلف السرد الخواص

الدائمة لشخصية ما هي ما يمكن أن يسميه المرء هويته السردية ببناء نوع من الهوية الديناميكية" (بول ريكور، بيروت، 2005، ص 260).

هكذا، إذن، تناول ريكور موضوع الهوية من عدة مناح وبين أن أزمة الهوية تزول بمجرد ضبط علاقتها مع ذاتها ومع غيرها من خلال الاعتراف بمبدأ الاختلاف ذلك أن لكل فرد أو جماعة هويتها السردية الخاصة. وضمن هذا الإطار ربط بول ريكور سؤال الهوية بانفتاحية الذات في علاقتها الحميمة مع الغير، إذ تبرز الذات من خلال الآخر، ويبرز الفرد ضمن الجماعة، وتشكل بدل الأنا قطب آخر هو قطب "النحن".

فالكشف عن الذات يكون من خلال استحضار ذوات أخرى تشاركها التجربة الإنسانية ضمن زمن ما، وتحررها من الفردانية والوحدانية والنزعة الذاتية، وتجعلها أكثر ديناميكية مع الآخرين، فالذات لا تحقق وجودها ولا تؤكد فاعليتها وكيونيتها إلا مع الآخرين.

واستنادا لهذا المعطى، يتبدى الإيتوس الجديد عند بول ريكور متجاوزا النسخة الكلاسيكية البلاغية الحجاجية إلى بحث عن مفهوم لذات فاعلة متكلمة، تتمركز قوة تأثيرها في القول والتلفظ. كما أن تجربة تأويل الذات واستيعاب هويتها مرتبط بتجربة الغيرية، ذلك أن الذات لا تتكشف إلا من خلال آخرها l'autre الذي يمنحها أفقا أكبر للانفتاح فتخرج من الشعور بالأنا إلى الشعور بالإنسانية، وتخرج من الشعور الفردي إلى الشعور بالغير والشعور بالإنسان بوصفه كائنا حيا un être vivant.

قائمة المصادر والمراجع :

- أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ، ط04، 1972.
- أرسطو طاليس، الخطابة ، الترجمة العربية الديمة، تحقيق وتعليق عبد الرحمان بدوي، وكالة مطبوعات الكويت، دار القلم ، بيروت ، 1979.
- إيميل بنفنست: اللغة والذات ضمن كتاب اللغة: إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، ضمن دفاتر فلسفية، دار توبوقال المغرب، ط04، 2005.
- باتريك شارودو: الحجاج وإشكال التأثير، ترجمة ربيعة العربي، ضمن كتاب جماعي ، الحجاج والاستدلال الحجاجي، دراسات في البلاغة الجديدة، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع ، ط01، 2011.
- باتريك شارودو: دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطابة، ترجمة عبد القادر المهيري، حمادي صمود.
- بول ريكور : بعد طول تأمل ، السيرة الذاتية، ترجمة فؤاد مليت ، مراجعة وتقديم عمر مهيبيل ، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف ، المركز الثقافي العربي، لبنان، الجزائر، المغرب، ط01، 2006.
- بول ريكور: الذات عينها كآخر، ترجمة جورج زيناتي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2005.
- جورج زيناتي: الفلسفة في مسارها، (مدخل إلى الفلسفة) ، دار الأحوال والأزمة، ط1، 2002.
- حاتم عبيد : في تحليل الخطاب، دار ورد للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط01، 2013.
- حسن بن حسن: النظرية التأويلية عند بول ريكور، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 1992.

- رولان بارت : قراءة جديدة ، ترجمة عمر أو كان ، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994.
- عالم فايزة، بن عيسى عبد الحليم مقومات فعل التأثير والإقناع في العملية الحجاجية، مختبر اللسانيات وتحليل الخطاب ، جامعة وهران ، 2020 .
- عبد الكريم شرفي: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط01، 2006.
- عبد الله بريمي: من فلسفة الإرادة إلى مسارات الاعتراف، موسوعة الأبحاث الفلسفية للرابطة العربية الأكاديمية، ج2 .
- عمارة ناصر : الفلسفة والبلاغة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط 2009، 01.
- كاترين هالبيرن وآخرون :الهوي(ات)، الفرد، الجماعة، المجتمع، ترجمة إبراهيم صحراوي، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2015.
- ماري مدلين دافي : معرفة الذات ، ترجمة نسيم النصر ، منشورات عويدات ، ط01 ، 1794.
- محمد الديهاجي: حسن الأشقر، بوخبزة مصطفى: التلقي والتأويل (من النموذج النصي إلى النموذج التفاعلي، مطبعة أميمة، المغرب، ط01 ، 2014.
- محمد نجيب العمامي: الذاتية في الخطاب السردي ، دار محمد علي للنشر ، كلية الآداب والفنون والإنسانيات ، منوبة، تونس، ط01، 2011.